المحاضرة السادسة
اللِّسانيات والتواصل اللغوي

تمهيد:

التواصل خاصية حياة الإنسان، فهو يغطيها في جميع مناحيها؛ لذلك يتم بأشكال كثيرة منها: اللغة، الإشارات، الألوان، الرسم، الموسيقى ...إلخ. ومن تنوع وسائله من: لسان وقلم وهاتف وتلفاز إلى غير ذلك من الوسائل. إلا أن اللغة [خطا(الكتابة)ونطقا؛ (المشافهة)] أهم الوسائل في التواصل الإنساني. فما هو التواصل وما هي أنواعه وعناصره؟

1- **التواصل في اللغة**: بالعودة إلى معاجمنا العربية نجد الفعل "وصل" يأتي ليدل على ضد الفصل ففي اللسان: " التواصل ضد التصارم". وفي مقاييس اللغة: "...ومن الباب الوصيلة: العمارة والخصب، لأنها تصل الناس بعضهم ببعض، وإذا أجدبوا تفرقوا".[1]أما من الناحية الصرفية فالتواصل على وزن "التفاعل "الذي من معانيه[2]:

أ- المشاركة بين اثنين فأكثر وهذا الذي يعنينا: مثل تصالح الأخوان.

ب- التظاهر بالشيء أو ادعاؤه مع انتفائه في الحقيقة: مثل: تناوم الصبي، تغابى الشيخ.

ج- الدلالة على حدوث الفعل بالتدرج: تواردت الأنباء، توافد الجمهور.

د- المطاوعة: باعدته فتباعد.

أما في المعاجم الغربية نورد ما قدمه معجم اللسانيات تحت **إشراف جون ديبوا** الذي عرف التواصل على أنه:" تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولا موجها نحو متكلم آخر، يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية وذلك تبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم".[3]

2- التواصل في الاصطلاح:

إن التواصل كغاية وهدف من اللغة نجده في ثقافتنا العربية ضمن تعريفات اللغة والبلاغة والبيان. فابن جني يعرف اللغة بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".[4] ففي هذا التعريف تظهر الخاصية الاجتماعية للغة التي هي التواصل، فاللغة إذا وصل بين مرسل ومتلق. فكل المتخاطبين يتخذونها وسيلة للتعبير عن حاجياتهم ومتطلبات حياتهم التي تكون يومية. وعليه يكون استعمال اللغة استعمالا تواصليا على مدار الليل والنهار.

أما الجاحظ في تعريفه للبيان فيقول: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله ...لأنه مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام".[5]

وتبليغ السامعَ القصد وتمرير الرسالة من أهداف العملية التواصلية، لهذا يحتاج المتكلم الفصاحة والبلاغة وهذا ما يبينه أبو هلال العسكري في معرض حديثه عن البلاغة التي هي: "كلُّ ما تُبلِغُ به قلب السامع فتُمكِّنُهُ في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن".[6]

ويعرفه أمبرتو إيكو بقوله: "التواصل سيرورة اجتماعية لا تتوقف عند حد بعينه، سيرورة تتضمن عددا هائلا من السلوكات الإنسانية: اللغة، والإيماءات، والنظرة والمحاكاة الجسدية،

([1])- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ل س ن).

([2])- ينظر: مصطفى الغلا يني، جامع الدروس العربية، تح: مجدي فتحي السيد،دار التوفيقية للتراث، القاهرة،2010 ص 11 وما بعدها.و ينظر: يوسف حسين السحيمات، مبادئ في الصرف العربية،دار حنين، الأردن، عمان،ط1،ص 28 وما بعدها.

([3])- عبد المالك مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة الجزائر، 2003، ص 78.

([4])- ابن جني، الخصائص،تر: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1952،ج33/1.

([5])- الجاحظ،البيان والتبيين،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ج1، ص43/42.

([6])- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1989،ط2، ص 15.

والفضاء الفاصل بين المتحدثين، ولهذا سيكون من العبث الفصل بين التواصل اللفظي والتواصل غير اللفظي".[1]

التواصل عند دي سوسير: لم يتحدث سوسير بصريح اللفظ عن التواصل في محاضراته وإنما تعرض له عند حديثه عن مدار الكلام فتصور الدورة التخاطبية بين شخصين (أ) و(ب) يتحاوران فيما بينهما كما يبينه الشكل الاتي:

تكون نقطة الانطلاق هي دماغ المتكلم (أ) حيث توجد ظواهر الشعور التي يسميها سوسير تصورات المترابطة مع التمثلات الأدلة اللسانية، أو الصور الإصغائية المستعملة للتعبير عنها. فالتصور يثير في الدماغ صورة إصغائية مطابقة له، وبعد ذلك ينقل الدماغ إلى أعضاء النطق شحنة مرتبطة بالصورة الإصغائية، إثرها تنتقل الموجات الصوتية من مخ (أ) إلى أذن (ب)، ثم تمتد دورة الكلام في الشخص (ب)، منطلقة من الأذن ومنتهية إلى الدماغ حيث الترابط بين الصورة الإصغائية والتصور. وإذا ما تحدث الشخص (ب) بدوره فإنه يتبع الخطوات نفسها التي رأيناها عند (أ)، ابتداء من دماغ (ب) للوصول أخيرا إلى دماغ (أ). وهذا ما يوضحه الشكل الاتي:

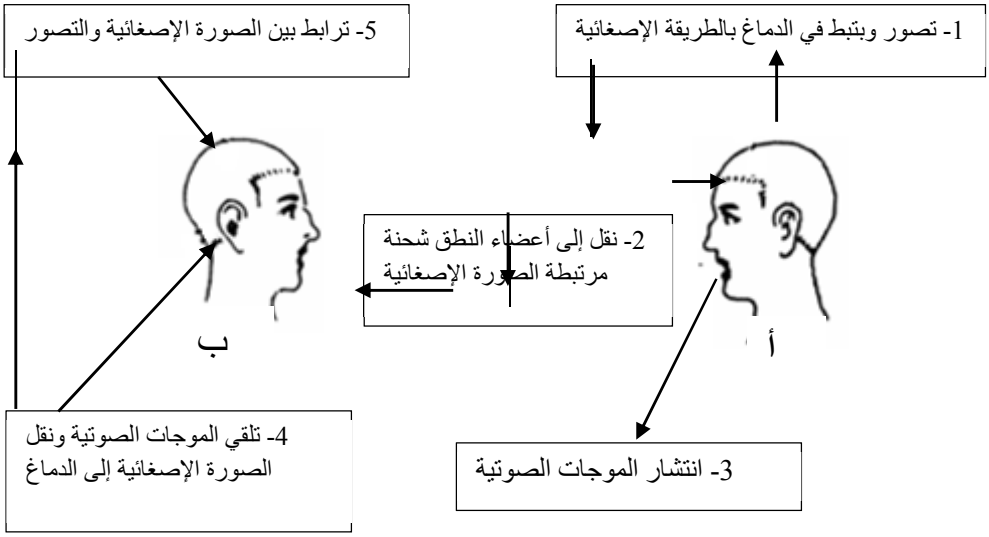

هكذا ترتبط العمليات (1)و(2)و(3) بالمتكلم، في حين تتعلق العمليتان (4)و(5) بالمتلقي.

ويهتم سوسير في عملية التواصل بثلاثة عناصر هي: العنصر النفسي الذي يتمثل في الصورة الإصغائية (اللفظية) والتصورات (المفاهيم)، ويتجسد في العمليتين (1)و(5)، وسيرورة فيزيائية تتمثل في الموجات الصوتية المنقولة عبر قناة الهواء وتتبين في العملية (3)، وهناك

(1)-سعيد بن كراد، استراتجيات التواصل من اللفظ إلى الإيماءة، مجلة علامات، ع21،2004،ص 11.

سيرورة عضوية تظهر في التصويت والاستماع، أي في أعضاء النطق والسمع ويتراءى ذلك في العمليتين (2)و(4).[1]

3- أنواع التواصل اللغوي: التواصل اللغوي نوعان:

1- التواصل اللفظي / الشفهي: الذي من خواصه أنه:

- ملك عام موجود في كل المجتمعات الإنسانية باستثناء فئة الصّم البكم.
- قديم قدم الإنسان.
- سريع الحدوث: الطلب ملزم للرد آليا عند الضرورة.
- سريع الزوال، تنتهي صورته بانتهاء الرسالة باستثناء التسجيلات الصوتية الحديثة.
- ظلامي ونوري المرور؛ أي يمكن التواصل به ليلا ونهارا.
- أحادي الوسيلة: استعمال الجهاز النطقي.
- أبلغ للتعبير عما في النفس باعتماده على: النبر والتنغيم وتوسله للغة المصاحبة من حركات الجسم المختلفة.

2- التواصل بالكتابة:

- أقل عمومية من التواصل الأول؛ يوجد فقط عند المتعلمين دون سواهم.
- حديث ظهر بعد اختراع الكتابة.
- بطيء الزوال يُعمر أثر من الأول.
- بطيء الحدوث؛ فمن الفكرة إلى الكتابة ثم الإرسال للقراءة.
- ضوئي المرور؛ لا يمكن لنا تمرير مقاصدنا كتابة في الليل لانعدام رؤية المقروء. باستثناء كتابة المكفوفين "البراي".

4- عوامل نجاح العملية التواصلية:

التواصل الشفوي: بديهي إذا ما قلنا: المتكلم والسّامع عنصران هامان في تفعيل العملية التواصلية، وهذا يعني أن حضورهما حضور للتواصل وغيابهما غياب له. أما نجاح العملية فمرتبط بمدى توفر شروط وخصائص في كل عنصر من عناصرها (مرسل، مرسل إليه، رسالة، سنن، السياق، القناة).

- **المرسل / المتكلم**: وهو "الذي وقع الكلام ...بحسب أحواله عن قصده و إرادته واعتقاده، وغير ذلك من الأمور الراجعة إليه حقيقة أو تقديرا".[2] لهذا اهتم به علماء العربية وبخاصة البلاغيين. ورصدوا له خصائص وصفات، لأنه قارئ القرآن وخطيب الأمة وشاعر القوم، وهذه التشريفات والمسؤوليات بحاجة إلى لسان فصيح بيّن مؤثر في المتلقي. لا تشوب فصاحته ما يحيل بينه وبين إقناع السامع يقول الجاحظ: "وهم يذمُّون الحصر ويؤنّبون الغي، فإن تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب ومماتنة الغي الحصر للبليغ المصقع في سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق، وأحدهما ألوم من صاحبه والألسنة غليه أسرع، وليس اللجلاج والتمتام والألثغ والفأفأة وذو الحبسة والحكلة والرنة وذو اللفف والعجلة في سبيل الحصر في خطبته والغي في مناضلة خصومه".[3] فمن رأى فيه هذه العيوب فخيرا له أن يستبدل هذه الكلمات التي تظهر فيها هذه العيوب بأخرى تقاربها معنى حتى يمرِّر رسالته على الوجه الذي يرتضيه السامع.

([1])- لاينظر: عمر أوكان، اللسانيات والتواصل في الموقع، www.aljbriabed.ne

([2])-ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1982،ط1،ص44.

([3])- الجاحظ، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1/ 7.

- **المرسل إليه/ السامع:** وهو الذي وقع إليه أو عليه الكلام ن ويجب عليه الإصغاء الحسن وإظهار الاهتمام بالمسموع وعدم، مقاطعة المتكلم، يقول عمر بن العاص: "ثلاثة لا أملهم جليس إذا فهم عني، ودابتي ما حملت رجلي، وثوبي ما ستر عورتي".[1] فنشاط المتكلم وزيادته في الحديث يعود إلى قدر فهم المتلقي لما يقوله.

- **الرسالة:** وهي:" وحدة الإشارات المتعلقة بقواعد تركيبات محددة (مضبوطة) يبعثها جهاز البث(الإرسال) إلى جهاز الاستقبال عن طريق قناة حيث تستعمل كوسيلة مادية للاتصال".[2] فالرسالة في التواصل الشفوي هي اللفظ وهو في تمايز من حيث الجزالة والفصاحة والدلالة، فاختيار اللفظ ضروري لأنه ميزان الحكم على صاحبه، فيكون إما له أو عليه لهذا لابد أن يكون "تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج ...وأن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسنا ومزية على غيرها".[3]

- **السَّنن / الشِّفرة:** نظام رمزي مشترك بين المرسل والمرسل إليه، وعبره تنقل المقاصد والأغراض من الأول إلى الثاني، وتحلل هذه الأنظمة من المرسل إليه للوصول إلى الغرض التواصلي وهدف المرسل، كما أن السَّنن هو: "القانون المنظِّم للقيم الإخبارية والهرم التسلسلي الذي ينظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل والمرسل إليه كل نمط تركيبي فمنه ينطلق الباث عندما يرسل رسالة خطابية معينة حيث يعمل على الترميز (codage) وإليه يعود كذلك عندما يستقبل رسالة ما يفك رموزها بحثا عن القيمة الإخبارية التي شُحنت بها (décodage).[4] وهو في اختلاف باختلاف المجتمعات.

- **السياق/ المقام:** كل ما يحيط بالعملية التواصلية إنتاجا وفهما فهو: " جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه، كما يعتبر السّامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال المتكلم ...وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل عملية اتصال".[5]

- **القناة:** هي المسلك الذي تنتقل عبره المقاصد. فالجهازان الصوتي والسمعي مسؤولان عن الرسائل في التواصل الشفوي فكل نقص وخلل فيهما من شأنه أن يعيق العملية التواصلية، إن لم نقل يقتلها. فسلامة الرسالة من سلامة القناة.

- **ثانيا التواصل الكتابي:** الكتابة هي الشكل الثاني في العملية التواصلية بعد المشافهة ، وهي أحفظ للرسالة: "فاللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق في الشاهد والغائب وهو للغائب الكائن مثله للقائم الراهن ...والكتاب يقرأ في كل مكان، ويدرس في كل زمان واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره".[6]

- **المرسل / الكاتب:** للكاتب الحرية المطلقة أو سلطة الكتابة في عملية الإنتاج، فله الوقت الكافي لإعادة أو استبدال تراكيبه وكلماته، لأن القارئ يتوقع في النصوص "المكتوبة تنظيما أكثر ضبطا ن إذ يكون لدى المنتج وقتل للكشف إعداد كفء ومؤثر".[7] ولهذا على الكاتب أن يختار من الكلمات التي يرى فيها من القوة لإحياء نصه عبر الزمن المختلف التالي لنتاجه.

([1])- م ن، ص 19.

([2])- الطاهر بومزمبر، التواصل اللساني والشعرية، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، منشورات الاختلاف، ط1 ، 2007 ، ص 27.

([3])- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للنشر، القاهرة، 2000، ص 77.

([4])- م س، ص 28.

([5])- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004، ص41.

([6])- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2/ 45.

([7])- دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان،عالم الكتب، القاهرة، 1998 ، ص 423.

- **المستقبل/ القارئ:** هو شريك الكاتب يحضر زمن الكتابة - قصدا لا عينا- من حيث جنسُه وثقافتُه وعمرُه ....
- **الرسالة:** وهي الجانب المكتوب في هذا النوع التواصلي ومن شروطها: "السبك، الالتحام، القصد، القبول، رعاية الموقف، التناص، والإعلامية".[1]
- **السَّنن:** في التواصل الكتابي هو العلامة اللّسانية الخطية وتكون مشتركة بين المرسل والمرسل إليه (الكاتب والقارئ) فإنتاج الرسالة تشفير وتلقيها وتحويلها إلى مدلول فك للتشفير.
- **السياق:** الكاتب الناجح الذي يختار الموقف المناسب للكتابة، هذا إن لم نقل السياق هو الذي يجبره عن فعل الكتابة" لأن مدار الشرف ...وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال".[2]
- **القناة:** على الكاتب أن يهتم بلغته لأنها الحامل المادي لمقاصده، فمتى كَمُلَتِ الآلة (الكلمة) وصل المعنى إلى القارئ ونجحت العملية التواصلية، لذا يجب على الكاتب "جعْلَ ما يقوله (يكتبه) واضحا بمعنى قابلا لأن يفهمه الأخرون دون عناء كبير ودون التباس أيضا".[3] كما عليه أن يجعل" الخفي ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا ...والمهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشي مألوفا ...وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل سيكون إظهار المعنى".[4]

([1])-م ن، ص 103،104.
([2])-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1/76.
([3])- محمد خطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط1، 2006. ص 48.
([4])-المرجع السابق، ص 26.